

التبيان في تفسير القرآن

(187) وقوله تعالى: " إنه لكم عدو مبين " عداوته للمؤمنين، وإبانه عداوته لنا هو أن ينسها لمن يراه من الملائكة، والجن، ونحن وإن لم نشاهده، فقد علمنا معاداته لنا، ودعائه إيانا إلى المعاصي، فجاز أن يسمى ذلك إبانه. وقال الجبائي: أبان عداوته لادم والملائكة (ع)، فكان بذلك مبينا لعداوته إيانا. قوله تعالى: فان زللتكم من بعد ما جاءكم البينات فاعلموا أن الله عزيز حكيم (209) آية واحدة. المعنى واللغة: أنزل الله تعالى هذه الآية، وقد علم أنه سيزل الزالون من الناس، فتقدم في ذلك، وأوعد فيه، لكي تكون الحجة على خلقه. يقال: زل يزل زلا، وزللا، ومزلا، وزلولا. ومعنى الآية " فان زللتكم " بمعنى تنحيتكم عن القصد، والشرائع، وتركتم ما أنتم عليه من الدين " من بعد ما جاءكم البينات فاعلموا أن الله عزيز " في نعمته " حكيم " في أمره، لا تعجزونه، وحكيم فيما شرع لكم من دينه، وفطركم عليه، وفيما يفعل بكم من عقوبة على معاصيكم إياه بعد إقامة الحجة عليكم. وذكر جماعة من أهل التأويل: أن " البينات " هم محمد (صلى الله عليه وآله) والقرآن، ذهب إليه السدي، وابن جريج، وغيرهما. وقيل: زل في الآية: مجاز تشبيها بمن زل عن قصد الطريق، وحقيقته: عصيتكم الله فيما أمركم به أو نهاكم عنه. والاولى أن يكون ذلك حقيقة بالعرف. وفي الآية دلالة على بطلان مذهب المجبرة: أن الله يريد القبيح، لانه لو أراد له لما صح وصفه بأنه حكيم. فان قيل: سواء زل العباد أو لم يزلوا، وجب أن يعلم أن الله عزيز حكيم فما معنى الشرط؟ قيل، لان معنى " عزيز " هو القادر الذي لا يجوز عليه المنع من عقابكم " حكيم " في عقوبته إياكم، فكأنه قال: فاعلموا أن العقاب واقع بكم لامحالة، لانه عزيز لايجوز أن يحول بينه وبين عقوبتكم حائل،